

التوسع الفرنسى فى افريقيا الاستوائية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

د . الهام محمد ذهنى

مدرس التاريخ الحديث

بكلية الدراسات الانسانية — جامعة الأزهر

ان لفرنسا تاريخا قديما فى الاستعمار ، اذ كونت امبراطورية استعمارية كبيرة فى نصفى الكرة الأرضية ، بدأت فى القرن السابع عشر ساهم فى بنائها ريشيليو وكولبير وعرفت هذه الامبراطورية فى التاريخ الفرنسى بالامبراطورية الأولى ، وقد أفل نجمها فى عام ١٧٦٣ حين أجبرت فرنسا على التخلّى لانجلترا عن كندا والهند فى معاهدة صلح باريس التى أعقبت حرب السنوات السبع ، ثم تلاشت هذه الامبراطورية تقريبا على اثر استيلاء الأسطول البريطانى عليها أثناء حروب نابليون ، بحيث لم تترك معاهدة باريس — المعقودة فى ٣٠ مايو ١٨١٤ — لفرنسا من حطامها (١) سوى مستعمرات ضئيلة الشأن (٢) .

(١) محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى — الجماعة الفرنسية فيما وراء البحار القاهرة ١٩٦٠ ص ٢ .

(٢) هى المحطات التجارية بالهند الفرنسية وهى موانى يانون ، بوند شيرى ، كاريكال على ساحل الكروماندل ، وما هى على ساحل الملبار ، وشندر ناجور على دلتا نهر الجانج فى البنغال ، وجزيرة ريون فى المحيط الهندى ، جيان الفرنسية بأمريكا الجنوبية ، والمحطات التجارية بالسنغال فى افريقيا الغربية ، وجزر الانتيل (المارتينيك) والجواد لوب فى البحر الكاريبى ، وجزر سان بيير وميكلون فى أمريكا الشمالية .

أما الامبراطورية الثانية التى كونتها فرنسا فقد بدأت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ ، وإذا كان غزو الجزائر لم يلق قبولا كبيرا بين الناس ، الا أن التقدم الفرنسى ظل فى القارة الافريقية يتسم بالبطء ، فقد ظل رأى العام الفرنسى منقسما على نفسه بين المؤيدين للتوسع الاستعمارى والمعارضين له ، وبين أنصار الملكية والجمهورية ولكل فريق رأى الخاص به فأنصار الجمهورية احترموا مبادئ السيادة والحرية والمساواة ، أما أنصار الملكية فكانوا يريدون عودة أمجاد لويس الرابع عشر ونابليون بونابرت وقد رأوا ضرورة امتداد الحضارة الفرنسية الى الأمم الأخرى (٣) .

ورغم أن ملكية يوليو منحت فرنسا السلام الطويل ، الا أن هذا السلام لم يقنع شعبا كالشعب الفرنسى بالمجد ، فقد رأى لويس فيليب أن مسئولية حكومته هى رفع المستوى الاقتصادى لبلاده واحلال السلام لتنمية تجارة فرنسا (٤) . وبسقوط حكومة لويس فيليب واعلان الجمهورية الثانية ثم قيام الامبراطورية الثانية ، بدأ عهد جديد فى فرنسا فقد اتبع نابليون الثالث سياسة استعمارية ، وقد اعتمدت حكومته على العسكريين من جهة ، والحزب الكاثوليكي من جهة أخرى ، وكلا الحزبين من أنصار التوسع العسكرى ، وقد وجهت هذه العناصر سياسة فرنسا حتى الحرب السبعينية وانعكست هذه السياسة الاستعمارية على القارة الافريقية (٥) .

وقد تعرضت سياسة فرنسا التوسعية فى القارة للأخطار

(3) Fage. : An introduction to the history of west Africa . Cambridge 1959 p. 141.

(٤) عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث ، أوروبا منذ الثورة
الثورة حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩ — ١٨٧١) دار الفكر
١٩٨٥ ص ٢٧٥ .

(٥) صلاح العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى ص ٤٨ .

والانحسار بسبب نشوب الحرب السبعينية ، واضطراب أحوال فرنسا الداخلية ، الا أن الجمهورية الثالثة ١٨٧١ — ١٩١٤ انتهجت بدورها سياسة توسعية فى القارة وكان جول فرى قائدا لهذه السياسة (٦) .

ورغم التشجيع الذى حظى به التيار الاستعمارى الذى نادى بالتوسع فيما وراء البحار الا أنه ظهر تيار معارض لهذه الفكرة ، رأى أنصاره أن استرداد الألزاس والمورين أهم فى المرتبة الأولى من المحافظة على المستعمرات الفرنسية وأنه من الأجدى لفرنسا أن توقف نمو امبراطوريتها وتركز قوتها ضد المانيا (٧) .

وفى النهاية حسم الأمر لصالح أنصار التوسع والاستعمار وساعدت الظروف الدولية فرنسا على تحقيق أطماعها وخاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ وهو مؤتمر استعمارى عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار ، لاقرار الوضع القائم فى القارة الافريقية ولتنظيم سلب ماتبقى من أراضى القارة واذا كان المؤتمر قد عقد أساسا لتنظيم التجارة فى حوض الكونغو ، ولأقرار حرية الملاحة فى النيجر ، الا أنه وضع مبادئ عامة لمنع اصطدام الدول الأوروبية الاستعمارية بعضها ببعض فى القارة (٨) .

اندفعت فرنسا بعد المؤتمر شأنها شأن الدول الأوروبية الاستعمارية نحو القارة لتدعيم مراكزها التى حصلت عليها من قبل ومكاسبها ، واستغلت بدايتها المبكرة فى ميدان الاستعمار بفضل

(6) Hanotaux, G : Mon temps la troisième république Gambetta et Jules Ferry. Paris tome II p. 426.

(٧) عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر ، أوروبا من الحروب البروسية الى الحرب العالمية الثانية (١٨٧١ — ١٩٤٥) — القاهرة ١٩٧٧ ص ٤٩ .

(8) Betts, R. : The Scramble For Africa U.S.A. 1966 p. 23.

قواتها البحرية ، وتمكنت من الاستيلاء على أكبر مساحة من القارة
الافريقية فكانت فى غرب افريقيا ما عرف باتحاد افريقيا الغربية
الفرنسية A.O.F. عام ١٨٩٥ وقد ضمت اليه كلا من السنغال
وغينيا الفرنسية والسودان الفرنسى وداهومى وساحل العاج وأراضى
النيجر ثم ضمت موريتانيا (٩) .

كذلك كونت فرنسا من الأقاليم التى سيطرت عليها فى افريقيا
الاستوائية ما عرف باتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية Afrique
Equatoriale Française وكانت أقاليم الاتحادين متجاورة ،
ولذلك كان من السهل عليها تجميعها فى وحدة واحدة لتسهيل ادارتها
والتحكم فيها ومن ثم عرفت باسم الأقاليم المجموعة أو المتجاورة
Territoires groupées ، أما فى شرق افريقيا فقد كونت
فرنسا مستعمرات فى كل من مدغشقر ، جزر القمر ، الصومال الفرنسى
وكانت هذه المستعمرات متباعدة ، فمدغشقر وجزر القمر فى المحيط
الهندي بينما الصومال الفرنسى على ساحل البحر الأحمر المواجه
لعدن ، ولذلك وحدت فرنسا هذه المستعمرات وأطلقت عليها اسم
الأقاليم الموحدة Territoires unitaires تمييزا لها عن
الأقاليم المجموعة التى تجاوزت فيها المستعمرات الفرنسية (١٠) .

تكونت افريقيا الاستوائية الفرنسية من أربع أقاليم الجابون
وعاصمته ليرفيل ، الكونغو الأوسط وعاصمته بوانت نوار ، اوبانجى
تشارى وعاصمته بانجى ، تشاد وعاصمته فورلامى وكانت هذه الأقاليم
تعرف من قبل باسم الكونغو الفرنسى ثم صدر مرسوم ١٥ يناير
١٩١٠ أعطاه هذا الاسم (١١) .

(9) Ajayi, J. History of west Africa. Great Britain 1974 vol.
II p 437 — 438.

(١٠) محمد محمد حسنين : المرجع السابق ص ١١٤ .

(١١) المرجع السابق ص ١١٥ .

لم تكن مهمة فرنسا ميسرة للسيطرة على أقاليم افريقيا الاستوائية وتحقيق هدفها الاستعماري ، فقد واجهت مصاعب داخلية تمثلت فى المقاومة العنيفة التى ظهرت فى بعض الأقاليم وخاصة فى تشاد ، كذلك كان عليها التصدى لأطماع الدول الاستعمارية الأخرى الطامعة بالمنطقة ، فدارت بينها وبين بلجيكا منافسة شديدة فى الكونغو وبينها وبين بريطانيا فى الجابون ، وبينها وبين ألمانيا فى منطقة اوبانجى تشارى ، ولذلك فقد كانت مهمة فرنسا لتكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية صعبة تطلبت منها الكثير من الجهد ، ولكنها نجحت فى النهاية فى تحقيق مشروعها الاستعماري الكبير فى المنطقة •

حينما نتحدث عن افريقيا الاستوائية الفرنسية ، فينبغى لنا أن نبدأ بالحديث عن الجابون باعتبارها من أولى المناطق التى وصل اليها الفرنسيون وقد تشابهت الجابون بالسنغال، حيث لعبت الأخيرة دورا هاما فى التغلغل الفرنسى فى غرب القارة وكانت بمثابة القاعدة الأساسية للفرنسيين للانطلاق نحو المناطق الداخلية حتى وصلوا الى تشاد ، ولعبت الجابون دورا هاما أيضا فى التغلغل الفرنسى فى افريقيا الاستوائية ، واتخذت منها فرنسا قاعدة ومركزا رئيسيا لها فى المنطقة ، بالاضافة الى تمتع الجابون بخاصية هامة ألا وهى غناها بمواردها الطبيعية اذ تكثر فيها الغابات والمناجم مما أتاح للفرنسيين فرصة كبيرة لاستغلالها (١٢) •

وقد وقع عبء اكتشاف افريقيا الاستوائية بصفة عامة ، والجابون بصفة خاصة على عاتق رجال البحرية الفرنسية والمستكشفين الفرنسيين ، ومن المعروف أن رجال البحرية الفرنسية لعبوا دورا هاما

(12) Thompson, Virginia French west Africa lond. 1958 p. 342.

ليس فى افريقيا الاستوائية فحسب ، وانما فى غرب وشرق القارة
الافريقية ومهدوا لتعميق النفوذ الفرنسى فى تلك الجهات (١٣) .

ولا جدال أن البرتغال كانت من أولى الدول الأوروبية التى
وصلت الى ساحل غينيا وإلى المناطق الواقعة جنوبه (١٤) فأرسلت
البعثات التبشيرية كما حاولت الاتصال بالأفارقة فى المناطق الداخلية
لخدمة أغراضها التجارية ، ونجحت فى احتكار وتصدير بعض المنتجات
كالمعادن والزجاج واستبدلتها بالذهب والعاج والرقيق (١٥) .

ولكن لم تستفد البرتغال من كشفها فى المنطقة، قدر الاستفادة
الفرنسيين الذين أسسوا الشركات التجارية فاحتكروا التجارة من
سيراليون حتى رأس لوبيه ، كما احتكرت شركة الهند الشرقية
الفرنسية وشركة غينيا التجارة حتى رأس الرجاء الصالح وعلى
طول ساحل أنجولا . وفى القرن الثامن عشر كان البحارة الفرنسيون
على علم تام بهذه السواحل وبلغ عدد الوكالات الفرنسية العاملة فى
المنطقة فى عام ١٧٨٥ أكثر من سبعين وكالة أسسها التجار الفرنسيون
القادمون من نانت ومارسيليا وبوردو (١٦) .

اعتمدت التجارة الفرنسية على المبادلة فحمل الفرنسيون
الأقمشة والمنسوجات والطبائى والأغذية من أجل الحصول على

(13) Hanotaux, G : Histoire des Colonies Francaises et de
L'expansion de La France dans le monde Tome IV parir 1929 p. 329.

(١٤) وصلت السفن البرتغالية الى المحيط الأطلنطى ، وعبرت خط
الاستواء ووصل كل من Fernanvaz, Lopez Gonsalvez الى المنطقة
التي عرفت باسمها أى الى رأس لوبيه وإلى خليج فرنانفاز . كذلك
وصل ديجو كام الى مصب الكونغو وكان يسمى زائر نسبة الى مملكة
افريقية قوية .

(15) Hanotaux : op cit p 360.

(16) Ibid p. 364.

المنتجات الافريقية مثل العاج والذهب والأخشاب وجوز الهند
بالاضافة الى الرقيق واستمر التفوق التجارى الفرنسى حاسما فى
المنطقة الممتدة من الجابون حتى رأس الرجاء الصالح حتى أواخر
القرن الثامن عشر (١٧) •

وبالاضافة الى اهتمام الفرنسيين بالتجارة اهتموا بنشر ثقافتهم
وديانتهم • فقدمت البعثات التبشيرية الى الجابون وساهم رجال
الدين فى اكتشاف المنطقة^١ والقاء الضوء عليها مثل القس برويار
Proyart الذى عمل فى جنوب الجابون فى لوانجو Loango
ونشر عام ١٧٧٦ كتابا هاما عن المنطقة^(١٨) • وتركز عمل البعثات
التبشيرية فى الجابون فى المناطق الواقعة جنوبها فتوغلت هذه
البعثات فى لوانجو وبوانت نوار • بينما تركزت فى الجابون فى
المنطقة التى تأسست فيها مدينة ليبرفيل الحالية^(١٩) •

جذبت المنطقة اهتمام رجال البحرية الفرنسية فى أوائل القرن
التاسع عشر ورأوا أن الجابون تصلح لى تكون قاعدة للبحرية
الفرنسية فى المنطقة ، ففى عام ١٨٠٥ كتب الأدميرال لينوا Linois
الى وزير البحرية الفرنسية يدعوه للاهتمام بالجابون وتقوية الصلات
معه ومع المناطق الواقعة جنوبها نظرا لأهمية موقعها على
الساحل^(٢٠) •

(17) Ibid p. 365.

(18) Histoire du Loango, Kakongo et autres royaumes
d'Afrique redigée d'après les memoires des prefts apostoliques de
la mission Française.

(19) The Cambridge history of Africa from 1790 — 1870
Great Britain 1976. vol. 5 p. 3111 .

(20) Hanotaux, G : op. cit vol IV p. 370.

وإذا كانت فرنسا قد انشغلت بالحروب النابوليونية عن الجابون ، الا أن منطقة ساحل غينيا جذبت انتباه رجال البحرية الفرنسية منذ الثلاثينيات من القرن التاسع عشر فعملوا على انشاء الحصون فى ساحل العاج ، وفى ساحل العبيد ، ولعب التجار الفرنسيون دورا بارزا فى ساحل غينيا حتى تم انشاء حصنين فى ساحل العاج فى كل من جران يسام واسينى كذلك تم انشاء حصن فرنسى ثالث فى الجابون التى أصبحت تمثل قاعدة بحرية هامة للنشاط الفرنسى فى المنطقة (٢١) .

وفى الواقع أن الاهتمام بالجابون لم يقتصر على الضباط الفرنسيين فحسب وانما اهتم بالمنطقة رجال البحرية البريطانية فقد أرسلت بعثة مكونة من الكابتن توكى Tuckg والملازم هوكى Hawkey الى المنطقة منذ عام ١٨١٦ وتجول الكابتن توكى فى سواحل الجابون ووصل الى رأس لوبيه وتعرف على أجزاء من نهر الجابون ، ولكن البحرية البريطانية خلال هذه الفترة فضلت العمل فى ساحل غينيا مما أتاح الفرصة للفرنسيين لتدعيم سيطرتهم فى الجابون (٢٢) .

يرجع الفضل الى بوييه ويلوميه القائد البحرى الفرنسى فى تدعيم سيطرة بلاده على ساحل غينيا ، فعقد المعاهدات التجارية فى ساحل العاج ودعم صلاته بالزعماء المحليين وأطلق على المراكز التجارية فى ساحل العاج اسم وكالات الجنوب Comptoirs du Sud واستتبع تدعيم السيطرة الفرنسية فى ساحل العاج تدعيمها فى

(21) Brunshwig, H. : L'Avenement de L'Afrique Noire au xix siècle paris 1963 p. 59.

(22) M. A. C. : Histoire Complète des voyages et decouvertes en Afrirque paris 1921 p. 6.

الجابون أيضا فزار بوييه المنطقة فى عام ١٨٣٧ ثم زارها للمرة الثانية عام ١٨٣٩ على ظهر السفينة الفرنسية Malouine ونجح بوييه فى التفاوض مع زعماء القبائل الرئيسية وزعماء القرى فى الجابون، وفى ٩ غبراير ١٨٣٩ وقع مع زعيم الضفة الشمالية للجابون الملك دنييس أول معاهدة فرنسية وافق فيها الملك على اقامة المنشآت الفرنسية ، وكانت هذه المعاهدة بداية لتكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية وقبل الملك دنييس اعلان الحماية الفرنسية على أراضيه . وقد قدر لهذا الملك أن يلعب دورا هاما فى المنطقة فقد عمل كوسيط تجارى بين الفرنسيين وبين سكان المناطق الداخلية فى الجابون واعتنق المسيحية وأرسل أولاده الى مدارس البعثات التبشيرية وتوفى فى عام ١٨٧٦ بعد أن ساهم بدور كبير فى تركيز النشاط الفرنسى فى الجابون (٢٣) .

وفى عام ١٨٤١ وقع بوييه مع الملك لوييس فى منطقة بوانت بنجارا Point Pungara معاهدة حماية ، وقد حذى بقية الزعماء المحليين حذو الملك لوييس فوقعوا معاهدات الحماية فى أبريل عام ١٨٤٣ مع القائد الفرنسى بودان Baudin ، كذلك قبل ملك منطقة Quabens الحماية الفرنسية على أراضيه ، وفى يوليو ١٨٤٤ وقع القائد الفرنسى داريكو Darricau معاهدات حماية مع زعماء الجزر وشبه الجزر الواقعة عند روافد الجابون ومنهم الملك جلاس وبناء على أوامر حاكم السنغال تم بناء حصن فرنسى فى الجابون هو حصن دومال Fort D'Aumal وذلك فى ١١ يونيو ١٨٤٣ (٢٤) .

على أن توقيع هذه المعاهدات أثار غيرة وحسد ضباط البحرية

(23) Hanotaux, G : op. cit tome IV p 373 .

(24) Ibid p. 374.

البريطانية العاملين فى ساحل غينيا ، فبدأوا فى اثاره المتاعب للفرنسيين وحرصوا الملك جلاس على رفض المعاهدة التى وقعها من قبل مع الفرنسيين ولكن فرنسا تمسكت بالمعاهدات التى عقدتها مع الزعماء المحليين فى الجابون فقد تزايدت أهمية المنطقة خلال هذه الفترة واعتبرتها فرنسا من أهم قواعد البحرية على أن تمسك فرنسا بالمعاهدات التى وقعتها لم يمه التنافس بينها وبين بريطانيا فى المنطقة فسرعان ما أثرت مشكلة أخرى بين الطرفين بشأن تجارة الرقيق ، وصدرت التعليمات الى الضباط الفرنسيين بمحاربة هذه التجارة ابتداء من السنغال حتى الجابون ، وفى نوفمبر ١٨٤٥ صدرت التعليمات من جورى فى السنغال الى قادة الجابون بضرورة اصدار اعلان رسمى الى سكان الجابون تضمن عدة مواد نصت المادة الأولى منه بأنه على السكان الخاضعين للنفوذ والقوانين الفرنسية عليهم الامتناع عن تجارة الرقيق وعن التجارة مع التجار البرازيليين ، ونصت المادة الثانية من الاعلان على أن يقوم قائد حصن دوما بتعريف الزعماء المحليين بأخطار هذه التجارة وضرورة منعها فى أراضيهم وابلغهم أنها محرمة قانونا ، وأن الفرنسيين سوف يحاولون تعويض هؤلاء الزعماء عن الأسرى من الرقيق عن طريق الاستفاداة منهم بدلا من بيعهم ، ونصت المادة الثالثة على قائد حصن دوما اعطاء الحرية التامة للتجارة الشرعية وحرية اقامة المنشآت للأوروبيين ولكن بشرط أن تكون هذه المنشآت خاضعة للحماية الفرنسية وتحت اشراف فرنسا ، ونصت المادة الرابعة على معرفة الجهة التى يقصدها تجار الرقيق ومعرفة المنشآت التى تتاجر فى هذه التجارة والعمل على تدميرها ، كذلك أكد الاعلان على ضرورة مصادرة السفن التى تصل الى الجابون ولا تحمل أوراق رسمية ونصت المادة الخامسة على ضرورة مراقبة التجار البرازيليين ومنعهم

من التجارة اذ شكل هؤلاء التجار خطرا كبيرا لنشاطهم فى هذا المجال (٢٥) .

وقد تعقب الضباط البريطانيين بدورهم تجار البرازيل لمنعهم من تجارة الرقيق وترتب على ذلك توتر العلاقة بينهم وبين الفرنسيين لأن عملية مطاردة تجار الرقيق تمت فى بعض الأحيان بدون الحصول على اذن مسبق من السلطات الفرنسية وتوغل الضباط البريطانيون فى أراضي اعتبرتها فرنسا تابعة لها ولذلك أرسل الكونت انولير الى اللورد ابردين فى عام ١٨٤٦ يشكو من تصرفات هؤلاء الضباط وذكر منهم القائد البريطانى بوسنكيه Bosanquet قائد السفينة Alert الذى قام بعدة عمليات عسكرية فى الجابون أثناء مطاردته للتجار البرازيليين دون استئذان السلطات الفرنسية ، كذلك رفض أوامر التحية للعلم الفرنسى (٢٦) .

وقد خشيت الحكومة البريطانية من توتر العلاقة بينها وبين فرنسا ولذلك قامت بمساءلة الكابتن بوسنكيه لتوضيح موقفه أمام الحكومة الفرنسية (٢٧) .

وقد دافع بوسنكيه عن موقفه بأنه تلقى معلومات عن وجود تجار للرقيق فى المنطقة وأكد أن العمليات العسكرية التى قام بها ضدهم كانت على بعد خمسة أميال من منشآت فرنسا فى الجابون

(25) F. O. 403 / 4 N° 127. instructions pour le bâtiment stationnaire dans le Gabon. Gorée Ee 4 Nov. 1845.

(26) F. O. 403 / 4 N° 130 The Earl Aberdeen to Lord William. Hervey. Foreign Office June 1946.

(27) Ibid N. 132 The Secretary to the Admiralty to MR. Addington Admiralty July 7. 1846.

وعلا تصرفه بأنه علم بوجود شحنة كبيرة من الأرقاء على وشك الإبحار من الجابون فحاول منعها (٢٨) .

وهكذا نلمس حرص فرنسا على التمسك بالجابون ومنع أى دولة أوروبية أخرى من أن يكون لها نفوذ فيها ، واكتسبت المنطقة أهمية جديدة بالاضافة الى كونها قاعدة بحرية وذلك عند انشاء مدينة ليبرفيل ١٨٤٩ على غرار فريتاون وقد بدأ الفرنسيون فى انزال العبيد المحررين على الساحل منذ عام ١٨٤٨ وأصبحت ليبرفيل محطة هامة لتموين السفن الفرنسية بما تحتاج اليه وخاصة الفحم (٢٩) .

وخلال عهد حكومة الامبراطورية الثانية اتبع الفرنسيون سياسة أكثر نشاطا فى المنطقة فتزايدت البعثات العلمية والاستكشافية والتبشيرية وفى الفترة مابين ١٨٥٧ - ١٨٥٩ استطاع بول دى شيلو Paul De chaillu اكتشاف نهر أوجويه والتعرف على روافده ودون ملاحظاته فى كتاب قيم ، وفى عام ١٨٦٢ أعلن الأدميرال ديدلو Didclot السيطرة الفرنسية من رأس لوبيه حتى دلتا بوانت بنجوار الواقعة على الضفة الشمالية للجابون وتم رفع الأعلام الفرنسية عليها (٣٠) .

رغم اهتمام حكومة الامبراطورية الثانية بالجابون الا أنه ظهرت خلال الستينات من القرن التاسع عشر فكرة تدعو الى مبادلة الجابون مع بريطانيا فى مقابل حصول فرنسا على غمبيا وكان من أنصار هذا الرأى فيدهرب حاكم السنغال وكتب مذكرة بذلك الى الامبراطور

(28) Ibid N. 132 inclosure Commander Bosanquet to the Admiralty Clay - Hill Lodge July 4, 1846.

(29) Hanotoux, G : op. cit p. 375.

(30) Ibid p. 378.

مابليوم الثالث وقد استند فيدهرب فى رأيه على أن من مصلحة فرنسا القوسع جنوبا من السنغال وضم أراضى غمبيا ولكن الحكومة البريطانية رفضت التخلّى عن غمبيا وأثيرت الفكرة مرة أخرى فى الثمانينات من القرن التاسع عشر عندما بدأت بريطانيا تسعى لتكوين حزام من الأراضى يمتد من ساحل غينيا ويسير جنوبا حتى الجابون ففكر بعض الساسة البريطانيين فى امكانية ضم الجابون ولكن كان من الصعب على الفرنسيين فى ذلك الوقت التخلّى عنها لتزايد أهميتها كذلك لتزايد أهمية ساحل غينيا (٣١) .

على أن هذا النشاط الفرنسى المكثف فى الجابون خلال عهد الامبراطورية الثانية سرعان ما تعرض للتقلص والانهيـار بسبب نشوب الحرب السبعينية مما أدى الى هجر فرنسا لمنشآتها فى الجابون ، وفى ساحل غينيا وساحل العاج والبيد ولكن سرعان ما بدأت فرنسا تستعيد نشاطها فى المنطقة مرة أخرى ولكن بصورة أكثر عمقا عن السنوات السابقة (٣٢) .

وجدير بالذكر أن بريطانيا خلال فترة السبعينات من القرن التاسع عشر فكرت فى مد نفوذها جنوب ساحل غينيا أى من لاجوس حتى المنشآت الفرنسية فى الجابون واستندت على سبب هام وهو انسحاب فرنسا من تلك المنطقة وهجر منشآتها ورغم وجود مشجعين لهذه الفكرة إلا أنها لقيت معارضة من قبل بعض الساسة البريطانيين لأنهم رأوا أن تدعيم السيطرة البريطانية على هذه الرقعة الكبيرة الممتدة من لاجوس حتى الجابون سيؤدى الى ارهاق ادارة ساحل الذهب التى تركزت فيها ادارة ساحل غينيا (٣٣) .

(31) Anstey, Roger : Britain and the Congo in the Nineteenth Century. OxFord 1962. p. 102.

(32) Avicé, E. La Côte Divoire. Paris 1951 p. 38.

(33) Thompson, V op. cit., p. 163.

عادت فرنسا الى الجابون أكثر نشاطا ووطدت نفوذها من جديد
فى ساحل العبيد وساحل العاج واستعادت منشآتها فى تلك المناطق
منذ عام ١٨٧٩ (٣٤) •

كان نشاط دى برازا فى الجابون من أهم العوامل التى ساهمت
فى تدعيم السيطرة الفرنسية عليها ورغم أن اسم دى برازا يقترب
بالكونغو الفرنسى الا أنه بدأ عمله فى المنطقة فى الجابون أولا
واستطاع دى برازا الوصول الى نهر أوجويه وخلال عشرين شهرا
كشف عن ٧٠ كم من النهر وتعرف على المنابع العليا فيه ، وذلك فى
عام ١٨٧٦ ، كما نجح دى برازا فى تأسيس مدينة فرائس فيل ، وعاد
الى فرنسا عام ١٨٧٨ ثم مالبث أن عاد الى المنطقة موفدا من الشعبة
الفرنسية للجمعية الافريقية عام ١٨٧٩ ولكن فى هذه المرة ركز
جهوده صوب الكونغو (٣٥) •

ويرجع السبب فى تركيز نشاط دى برازا فى الكونغو أنه أكد
أن نهر الجابون لايساعد كثيرا على التوغل فى داخل القارة للتوسع
وأن نهر الكونغو يتيح لفرنسا فرصة أكبر للتوسع فى المناطق
الداخلية ولكنه أكد أهمية الجابون كقاعدة بحرية هامة (٣٦) •

والواقع أن قادة الجمهورية الثالثة انتهجوا سياسة توسعية فى
افريقيا وحرصوا على ربط السنغال بالنيجر واكتشاف الأراضى
الداخلية لداهومى وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما وبين
النيجر والعمل على ربط غرب افريقيا بكل من شمال افريقيا وافريقيا

(34) Ibid, p. 163.

(٣٥) زاهر رياض : الاستعمار الأوروبى لأفريقيا — القاهرة
١٩٦٠ ص ٧٣ •

(36) Thompson, V : op.cit p. 8

الاستوائية ومد النشاط الفرنسى من البحر المتوسط حتى الكونغو وقد تحققت هذه السياسة بالفعل (٣٧) .

كثف الفرنسيون نشاطهم فى الجابون باعتبارها مفتاح افريقيا الاستوائية ونظرا لتزايد أهميتها لم تعد تابعة للسنگال وانما انفصلت عنها عام ١٨٨١ وأصبحت هى بدورها قاعدة هامة ومركزا رئيسيا للانطلاق نحو المناطق الداخلية وحلت ليرفيل محل داكار فى ادارة المنطقة (٣٨) .

وفى عام ١٨٨٣ بلغ عدد المراكز الفرنسية الممتدة على طول وادى أوجويه حوالى عشرين مركز ووقعت المعاهدات مع القبائل الوطنية فى المنطقة (٣٩) .

ونجح دى برازا فى تحقيق هدفه فى الجابون اذ تكونت جمعية أعالى أوجويه كانت مهمتها الأساسية هى التوسع فى أعالى هذا النهر ولفتح طريق من مصب الكونغو الى أعالى النيل والافادة من المنطقة من الناحية التجارية (٤٠) .

وهكذا حقق الفرنسيون هدفهم فى الجابون ودعموا مراكزهم فيها لكى يتمكنوا من التوغل فى المناطق الداخلية .

أما الاقليم الثانى من أقاليم افريقيا الاستوائية التى اهتمت فرنسا بالسيطرة عليه فهو الكونغو الأوسط أو ما عرف بالكونغو

(37) Hanotaux. G : op. cit p. 273 .

(38) Thompson, V . op. cit p. 5.

(39) Ibid p. 8 .

(٤٠) شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها — القاهرة ١٩٧١ ص ٢٩٥ .

الفرنسى • وفى الواقع أن فرنسا لم تكن الدولة الوحيدة المهتمة بهذه المنطقة فالملك ليوبولد ملك بلجيكا كانت له أطماع استعمارية فى القارة الافريقية وخاصة فى الكونغو ، فقد أدرك أن أوروبا ليست الميدان الصحيح لنشاطه وأن افريقيا هى الميدان الذى يمكنه من تحقيق أحلامه التوسعية (٤١) •

وضع ليوبولد نصب عينيه هدفا هاما وهو تكوين مستعمرة بلجيكية فى الكونغو ، وأعلن ذلك أمام البرلمان البلجيكى وبرر سياسته أن بلاده بلاد صناعية وتجارية ، وأنه لم يعد أمامه مجال للتوسع فى أوروبا ، وأن الجهود التى يمكن الاستفادة منها وتؤتى ثمارها هى فى القارة الافريقية ، ولذلك بث دعاية كبيرة عن القارة ساعده فى ذلك السياسى البلجيكى الشهير اميل باننج Emile Banning (٤٢) •

ولكن اهتمام ليوبولد بافريقيا وبمنطقة الكونغو لم يأت من فراغ فقد سبقه جهود المستكشفين الأوروبيين وخاصة البريطانيين ففي عام ١٨٧٢ أرسلت الجمعية الجغرافية الكابتن كمرون الذى وصل الى زنجبار ومنها اندفع نحو المناطق الداخلية من القارة حتى وصل الى نهر اللوالابا وهو أحد فروع نهر الكونغو ونجح كمرون فى عقد عدة معاهدات مع الحكام الوطنيين فى منطقة الكونغو الأدنى ، وفى عام ١٨٧٥ عاد الى بلاده وأشار الى أهمية المنطقة وثروتها الطبيعية (٤٣) •

شجعت كبار الشخصيات فى بريطانيا ارسال البعثات التبشيرية

(41) Robinson, R : Africa and The Victorians N. Y 1961 p. 326.

(42) Ibid p. 326.

(43) Ibid p. 169 .

والكشفية الى المنطقة ، كذلك شارك فى هذا التشجيع كبار رجال الصناعة مثل روبرت ارثنجتون الذى خصص أموالا للبعثات الكشفية والتبشيرية فى أعالي حوض الكونغو ، وأكد أن وصول كمرون الى اللوالابا سيتيح الفرصة للبعثات المسيحية للعمل فى المنطقة (٤٤) .

ورغم اهتمام بريطانيا بمنطقة الكونغو الا أن الفضل الأكبر فى القاء الضوء عليها يرجع الى ستانلى وهو من أصل إيرلندى عمل لحساب صحيفة النيويورك هيرالد الأمريكية ، وبدأ رحلته ١٨٧٤ وكان الهدف منها الطواف ببحيرة فيكتوريا وبحيرة تنجانيقا ، والوصول الى نهر اللوالابا ، وأثبت ستانلى فى رحلته أن نهر اللوالابا متصل بالكونغو ، وفى عام ١٨٧٧ وصل الى الشلالات التى عرفت باسمه ثم وصل الى المدينة التى عرفت فيما بعد باسم ستانلى بول ، وأخيرا تابع رحلته حتى وصل قرب مصب الكونغو عند مدينة بوما . وترجع أهمية رحلة ستانلى أنها أوضحت شبكة المجارى المائية الأفريقية وكشفت الغموض عن الكثير منها (٤٥) .

جذبت جهود ستانلى فى الكونغو فى الفترة ما بين ١٨٧٤ — ١٨٧٧ أنظار الملك ليوبولد فدعا الى عقد مؤتمر فى بروكسل ١٨٧٦ وكان الهدف من المؤتمر الكشف عن الأقاليم الواقعة فى داخل إفريقيا ، وخاصة الأقاليم الواقعة بين المحيطين الأطلنطى والهندي ، والكشف عن الأقاليم الشمالية والجنوبية بين حدود مصر والسودان فى الشمال وحوض الزمبيزى فى الجنوب ، كذلك ارسال المكتشفين لاقامة المحطات العلمية والطبية لتكون قاعدة للعمليات التوسعية (٤٦) .

(44) Anstey, R : op. cit p. 34.

(٤٥) شوقى الجمل ، المرجع السابق ص ١٠٤ .

(46) Eucher, Le p : Le Congo. Paris 1894 p. 214 .

وكذلك العمل على القضاء على تجارة الرقيق المنتشرة فى المناطق الداخلية ووضع حد لها واقامة مراكز لمراقبتها (٤٧) .

أسفر المؤتمر عن صدور عدة قرارات منها تأليف الهيئة الدولية لاكتشاف افريقيا وادخال الحضارة فيها وأكد ليوبولد بعد المؤتمر ، أن بروكسل ستكون مركز الحركة الحضارية فى أوروبا ، كذلك نتج عن المؤتمر تكوين شعبة محلية تابعة للهيئة الدولية فتكونت الشعبة الفرنسية على رأسها دى برازا كذلك تكونت الشعبة البلجيكية والتي انبثق منها لجنة عرفت باسم لجنة دراسة الكونغو الأعلى (٤٨) Comité d'étude du Haut congo

جذب ليوبولد ستانلى للعمل معه فقبل وخاصة بعد أن فشلت جهود الأخير لجذب انتباه حزب الأحرار الحاكم فى بريطانيا • وقد أفاد ليوبولد من ستانلى فائدة كبيرة ، فقد عاد الى الكونغو ١٨٧٩ وكان الهدف الأساسى لبعثته ، هو فتح طريق المواصلات والملاحة بين الكونغو ومدينة ستانلى بول فى الداخل والمناطق الساحلية، ونجح ستانلى فى مهمته وأسس عام ١٨٨٠ عدة محطات فى الكونغو باسم لجنة دراسة الكونغو الأعلى كما عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين ، وفى عام ١٨٨١ أسس مدينة ليوبولد فيل تليدا لاسم الملك ليوبولد (٤٩) .

بعد أن حقق ستانلى نجاحا كبيرا فى منطقة الكونغو أصبح هدف ليوبولد هو الحصول على اعتراف بدولة الكونغو الحرة ولذلك حاول اقناع رجال الأعمال البريطانيين بممارسة نشاطهم

(47) Castelin, A : The Congo state Lond 1907 p. 26.

(48) Ibid p. 28.

(49) Robinson : op. cit p. 170.

التجارى فى المنطقة ، وأكد لهم ان تجارتهم ستكون أكثر أمنا تحت ادارته مما لو كانت تحت ادارة فرنسا أو البرتغال (٥٠) .

كذلك سعى لاحتكار تجارة الصمغ والعاج فى حوض الكونغو ، مما أثار الشركات التجارية الفرنسية العاملة فى الضفة اليمنى لنهر الكونغو (٥١) .

وفى الوقت الذى كان فيه ستانلى يعمل جاهدا لنشر نفوذ الملك ليوبولد على أكبر مساحة من حوض الكونغو ، فعقد مع الزعماء الوطنيين المعاهدات التى تربطهم به حتى قيل أنه عقد ما يقرب من خمسمائة معاهدة ، كان دى برازا يعمل على الضفة اليمنى لنهر الكونغو (٥٢) .

والواقع أننا لانستطيع التحدث عن الكونغو الفرنسى دون أن نذكر جهود دى برازا فى المنطقة فاليه يرجع الفصل فى اقرار وتدعيم نفوذ فرنسا ، وان كانت هناك جهود أخرى بذلت فى المنطقة، الا أنها لم تكن بنفس أهمية جهود دى برازا ، فقد عمل فى المنطقة من قبل الملازم ايمس Aymes الذى تعرف على أجزاء من مصب نهر أوجويه ، ونجح فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين .

وقد عهد الى دى برازا استكمال أعمال الملازم ايمس ولكنه كان على درجة كبيرة من الطموح ، فقدم مشروعا الى وزير البحرية والمستعمرات طالب فيه بضرورة اقرار النفوذ الفرنسى فى الكونغو

(50) Anene. J : Africa in the Nineteenth and twentieth centuries Lond 1972 p. 121.

(51) Williams, B. : Modern Africa 1972 p. 40.

(٥٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وكتب مذكرة بذلك فى ٢٣ يناير ١٨٧٤ « رأيت أثناء وصولى الى الجابون امكانية اكتشاف مجرى نهر أوجويه ولهذا النهر أهمية اقتصادية كبيرة تمكننا من التفرغ فى المناطق الداخلية للقارة الافريقية » (٥٣) .

وبذلك يمكن أن نقول ان دى برازا أنفاد من اكتشافاته فى نهر أوجويه فى الجابون للتوسع فى المناطق الداخلية ، وقد قبل وزير البحرية مشروع دى برازا الذى وصل الى دكار ١٨٧٥ ومنها اتجه الى الجابون ثم الكونغو وتقدم فى المنطقة حتى وصل الى بحيرة اليماما Alima وتقع على ضفة الكونغو اليمنى ومنها اتجه الى أراضي جماعات باتيكيه Batékes ونجح فى التعرف على أجزاء من نهر الكونغو كان ستانلى قد وصل اليها من قبل (٥٤) .

عاد دى برازا الى الكونغو مرة ثانية عام ١٨٧٩ موفدا من قبل جمعية الدراسات الافريقية لكشف المنطقة الممتدة من الجابون الى تشاد ، فى الوقت الذى تقدم ستانلى فى المنطقة موفدا من قبل الشعبة الباجيكية ولذلك دار سباق بين الطرفين كل منهما يحاول ربط الكونغو بالجهة التى يعمل لحسابها (٥٥) .

نجح دى برازا فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين لقبول السيطرة الفرنسية وأسس قرب مصب الكونغو وعلى الضفة اليمنى محطة لخدمة أغراض الفرنسيين فى المكان الذى أطلق عليه اسم برازا فيل تخايذا لذكراه (٥٦) .

(53) Hanotaux, G : op. cit p. 387 .

(54) Ibid pp. 390 — 392 .

(٥٥) شوقى الجبل : المرجع السابق ص ٥٠٦ .

(٥٦) المرجع السابق ص ٥٠٦ .

على أن أهم نجاح حققه دي برازا هو أنه استطاع الاتفاق مع الملك ماكوكو Makoko الذى تقع بلاده بين قرية نينتشو Nyantchou الواقعة على نهر الكونغو وبين مبيه Mbé فى الداخل • وترجع أهمية الاتفاق مع ماكوكو انه كان له نفوذ كبير على جماعات باتيكيه Batekes التى تقطن الضفة اليمنى للنهر ، كذلك كان له سيطرة على المناطق الداخلية ، وقد تقابل دي برازا مع مبعوث الملك ماكوكو الذى أطلعته برغبة الملك فى توطيد عرى الصداقة مع الفرنسيين فقام دي برازا بنفسه بزيارة الملك ونجح فى اقناعه بتوقيع معاهدة حماية فى ١٠ سبتمبر ١٨٨٠ تنازل بمقتضاها عن الأراضى الواقعة شمال محطة برازا فيل وعن منطقة نيومبي Nympey وقبل رفع العلم الفرنسى على أراضيه (٥٧) •

كذلك وقع دي برازا معاهدات حماية مع الزعماء المحليين الذين تقع أراضيهم قرب أملاك الملك ماكوكو وأسس محطة فرنسية فى ضفة كيلا Kila (٥٨) ثم أسس دي برازا محطة ثالثة فى اليما ، ويبدو أن مهمة دي برازا فى هذه المنطقة لم تكن ميسرة اذ رفض سكان اليما فى البداية انشاء محطة فى أراضيهم ولكنهم سرعان ما اضطروا لقبول الأمر الواقع ، ولذلك وصفهم دي برازا فى تقاريره بالوحشية ، ولكنه فى الوقت نفسه دعا حكومته لتوطيد الصلات معهم ، كما أرسل الى المنطقة الكابتن فرومان Froment فى نوفمبر ١٨٨٥ لدراسة السكان وعاداتهم وتقاليدهم (٥٩) •

وهكذا فى خلال عامين من وصول دي برازا ، الى الكونغو حصل لفرنسا على مساحات شاسعة من الأراضى وأسس العديد من

(57) Hanotaux, G : op. cit p. 402.

(58) Ibid p. 403.

(59i) Vidrovitch, Catherine : Brazza et La prise de possession du Congo 1883 — 1885. Paris 1969 p. 453.

المحطات الفرنسية لتدعيم النفوذ الفرنسى بالاضافة الى تدوينه الملاحظات العلمية القيمة وكتابة التقارير التى أفادت منها الحكومة الفرنسية فائدة كبيرة (٦٠) .

عاد دى برازا الى فرنسا عام ١٨٨٢ ، ووافق البرلمان الفرنسى على المعاهدة التى عقدها مع الملك ماكوكو ، ويرجع السبب فى موافقة البرلمان الفرنسى أن أعضاء البرلمان كانوا مدفوعين بدافع الحماس الوطنى وخاصة بعد احتلال بريطانيا لمصر أكثر من دافع الدراسة السلمية للمزايا الاقتصادية المنتظرة للمعاهدة (٦١) .

كما أحدثت معاهدة ماكوكو رد فعل فى عواصم الدول الأوروبية وخاصة بلجيكا فأعلن الملك ليوبولد عن تخوفه من أعمال دى برازا فى المنطقة ودفع ستانلى الى مهاجمة بعض المراكز الفرنسية الواقعة على الضفة اليمنى للكونغو ولكن القوات الفرنسية تصدت له (٦٢) .

كذلك احتج التجار البريطانيون على نشاط دى برازا فى الكونغو وحذروا الحكومة البريطانية من تصاعد النفوذ الفرنسى الذى من الممكن أن يؤدى الى عرقلة الملاحة والتجارة فى النهر ، ورفع أعضاء غرفة مانشستر التجارية مذكرة الى اللورد جرانفيل فى ١٣ نوفمبر ١٨٨٢ حثوا فيها الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف حاسم ازاء التغلغل الفرنسى فى الكونغو ، وطالبوا بانشاء مركز بريطانى على النهر . وذلك لأن القنصلية البريطانية فى لواندا من الصعب عليها مراقبة المنطقة . كما أكدوا على الحكومة بضرورة مراعاة مصالح البريطانيين التجارية (٦٣) .

(60) Hanotaux : op. cit p. 404.

(٦١) شوقى الجبل : المرجع السابق ص ٥٠٧ .

(62) Hanotaux, op. cit p. 406.

(63) Anstey, R : op. cit p. 116 .

وقد وجهت الحكومة البريطانية التساؤلات للسفير الفرنسى فى لندن للتأكد من عدم عرقلة تجارة البريطانيين فى المنطقة ، ولكن أنصار التوسع البريطانى مثل ماكينون وكيرك^(٦٤) لعبوا دورا بارزا فى الضغط على الحكومة البريطانية فأكد كيرك خطورة معاهدة ماكوكو التى وقعها مع دى برازا وأرسل الى اللورد جرانفيل فى ١٩ مارس ١٨٨٣ مذكرة طالب فيها بضرورة عقد معاهدة بريطانية مماثلة مع الملك ماكوكو لتتيح لبريطانيا حرية الملاحة والتجارة فى الكونغو^(٦٥) .

عاد دى برازا الى الكونغو فى مهمة علمية ، وحصل على لقب مفوض حكومة الجمهورية الفرنسية فى الغرب الاغريقى ، وأسفرت بعثته الثالثة ١٨٨٣ عن التوغل فى الكونغو . ونجح فى السيطرة على عدة نقاط على الساحل ، وخاصة فى بوانت نوار كما عمل على مراقبة عملاء ستانلى وفتح الطريق بين اليما والكونغو . . . وهكذا يتضح لنا أنه عند انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ كان دى برازا قد دعم بالفعل السيطرة الفرنسية على الضفة اليمنى لنهر الكونغو ، وحصل لفرنسا على مكاسب كبيرة أفادت منها فى تأكيد نفوذها عند انعقاد المؤتمر^(٦٦) .

أرادت بريطانيا أن تثبت وجودها فى المنطقة وخاصة بعد نشاط دى برازا المكثف ونشاط ستانلى ، فتفاوضت مع البرتغال لعقد معاهدة بينهما فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ ، اعترفت فيها بأحقية البرتغال فى الاسيلاء على اقليم الكونغو بين خطى عرضى ٩٢ ، ٨ جنوبا ، على أن تكفل حرية الملاحة فى كل من الكونغو والنيجر وأن تعمل

(٦٤) عملا فى سواحل افريقيا الشرقية .

(65) Anstey, R : op. cit p. 129.

(66) Hanotaux, G : op. cit pp. 410 — 412.

الدولتان سويا على محاربة تجارة الرقيق (٦٧) ولكن ذاع خبر المعاهدة قبل التصديق عليها واحتجت فرنسا على ادعاءات البرتغال في الكونغو وأبلغ ليونز Lyons السفير البريطاني حكومته في ٢٣ مايو ١٨٨٣ أن المسيو لأكور Challemel - Lacour يعارض ادعاءات البرتغال وإن فرنسا لن تعترف بالمعاهدة لو وقعت بين الطرفين ، كذلك أثارت المعاهدة بلجيكا فقد أدركت أن المعاهدة تمهيدا لسيطرة بريطانيا على المنطقة ، واعتضت الولايات المتحدة الأمريكية على المعاهدة ، أما إيطاليا وأسبانيا فلم تعترضاً لأن لم تكن لهما مصالح في الكونغو (٦٨) وواصلت فرنسا ضغطها على الحكومة البريطانية واتخذت من المسألة المصرية واحتلال بريطانيا لمصر وسيلة للضغط وقدم جول فرى احتجاجا على المعاهدة في مذكرة رفعها الى الحكومة البريطانية في ١٣ مارس ١٨٨٤ • وقد اقتنعت بريطانيا في نهاية الأمر بضرورة تخليها عن المعاهدة لأن دول أوروبا أيضا لوحث لها بالمسألة المصرية (٦٩) •

أصبح واضحا أن الخلاف بين فرنسا وبلجيكا على الكونغو لا بد من حله عن طريق مؤتمر دولي وذكر السياسي البلجيكي اميل باننج أن المسألة الافريقية برمتها هي الشغل الشاغل للدول الأوروبية (٧٠) وقد سعى بسمارك لعقد مؤتمر برلين لحل مشكلة الكونغو وكان المؤتمر محاولة منه ومن جول فرى وزير خارجية فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة • وحضر المؤتمر الدول الأوروبية المعنية بالقارة ولعب بسمارك دورا هاما في الموازنة بين هذه الدول (٧١)

(٦٧) شوقي الجمل المرجع السابق ص ٢٩٩ •

(68) Anstey, : op. cit p. 161.

(69) Robinson, R : op. cit p. 172 — 175.

(٧٠) شوقي الجمل المرجع السابق ص ٣٠٧ •

(71) Carrié,A : The Concert of Europe U. S. A. 1968 p. 310.

وإذا كان المؤتمر قد عقد أساسا لبحث مشكلة الكونغو الا أنه مالبث أن امتد ليُشمل عدة مشكلات وتم فيه التوصل الى اتفاقات هامة تلتزم بها الدول الأوروبية (٧٢) على أن أهم ما أسفر عنه المؤتمر هو أن الدول الأوروبية تكتلت ضد الاتفاق البريطاني البرتغالي ، اذ أدركت أن بريطانيا تريد اعطاء الكونغو للبرتغال كخطوة تمهيدية لتصفية ممتلكاتها ووضع يدها عليها • كما اعترفت الدول الأوروبية بدولة الكونغو الحرة (٧٣) •

سعت فرنسا لتحديد الحدود بين دولة الكونغو الحرة وبين مناطق نفوذها على الضفة اليمنى للنهر فدارت المفاوضات بين الدولتين الى أن تم فى النهاية تحديد الحدود فيما بينهما • وقد أرسل رئيس الهيئة الدولية للكونغو الى وزير خارجية فرنسا يؤكد تمسك الهيئة ببعض المناطق مثل وادى Niadi - Quillou ولكن بعد عدة مراسلات بين رئيس الهيئة الدولية للكونغو Strauch وجول فرى قرر الطرفان ضرورة تبادل المذكرات فيما بينهما تمهيدا لتحديد الحدود (٧٤) •

تم الاتفاق بين فرنسا والهيئة الدولية على اعتبار الفواصل الطبيعية حدا وخطا للفصل بين ممتلكات كل منهما • كذلك تم تكوين

(٧٢) حياد اقليم الكونغو — حرية الملاحة فيه — حرية الملاحة والتجارة فى حوض الكونغو والنيجر وكل الأمم — عدم فرض أية دولة حماية على المناطق الساحلية دوات أن تعلن ذلك للدول الأخرى — عدم اعلان الحماية — دون أن تكون مؤيدة بامتلاك فعلى •

(٧٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٠٣ •

(74) Hertslet, E. The Map of Africa by treaty vol II p. 562. No. 151 exchange of notes between the Congo Free state and France, respecting the right of preemption of France over the territory of the Congo free State April - May 1884.

لجنة للقيام بعملية تحديد الحدود ، وطالب الجانب البلجيكي بضرورة اعتراف فرنسا بعلم الهيئة الدولية للكونغو وتم توقيع الاتفاق في ١٢ مارس ١٨٨٥ (٧٥) .

ورغم هذه الاتفاقات الا انه حدث خلاف بين الدولتين بشأن اقليم مايونجا Mayonga كاد أن يؤدي الى توتر الموقف بينهما ، ولكن أمكن التوصل الى اتفاق بشأن تحديد الحدود في هذا الاقليم وذلك في ٢٢ نوفمبر ١٨٨٥ . وبذلك تم حصر الخلاف فيما بينهما (٧٦) .

على أن أهم اتفاق عقد بين الجانبين كان معاهدة ٢٩ أبريل ١٨٨٧ تعهدت فيها دولة الكونغو الحرة على أن يكون نهر الاويانجي وهو فرع من فروع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو الحرة واعتبرت المنطقة الواقعة شمال الاويانجي تابعة لفرنسا ، والمنطقة الواقعة جنوبه تابعة لدولة الكونغو الحرة ، كذلك تعهدت دولة الكونغو الحرة بعدم التدخل في الشؤون السياسية للصفة الشمالية للاويانجي وتعهدت فرنسا أيضا من جانبها بعدم التدخل في أى عمل سياسى فى الضفة الجنوبية للاويانجي (٧٧) .

ومن المعروف أن الملك ليوبولد تنازل عن جميع حقوقه فى دولة

(75) Ibid p. 564 No. 152. Convention between the government of the French republic and the international Association of the Congo, Paris 5 February 1885.

(76) Ibid p. 561 No. 154. protocol defining the boundaries between the Congo free state and the French possession in the region of Manyanga 22 Nov. 1885.

(77) Ibid p. 568 No. 156. Protocol defining the boundaries between the Congo Free State and the French possession in the oubangui region Bruxelles 29 April. 1887.

الكونغو الحرة وأعلن تسليمه لبلجيكا بعد وفاته * وقد أثار ذلك مخاوف الحكومة الفرنسية فطلب وزير الخارجية الفرنسي ريبو من بورية السفير الفرنسي في بروكسل في ١٢ يوليو ١٨٩٠ ، أن يؤكد على الحكومة البلجيكية أنه في حالة تسلمها دولة الكونغو الحرة بعد وفاة ليوبولد ، عليها الالتزام بالاتفاقيات المعقودة بين الطرفين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ بخصوص تحديد الحدود بينهما ^(٧٨) وقد أكدت الحكومة البلجيكية كذلك أكد رئيس الهيئة الدولية Strauch للسفير الفرنسي التزام الهيئة والحكومة بالمعاهدات السابق عقدها بين الطرفين ^(٧٩) وأعلنت الحكومة البلجيكية بأنها تريد وتسعى لحسن الجوار مع فرنسا في الكونغو فهما في أوروبا دولتان متجاورتان ولذلك فمن الضروري أن تتسم علاقات الدولتين في افريقيا أيضا بالتفاهم وحسن الجوار ^(٨٠) .

وإذا كانت فرنسا قد سعت لتسوية حدودها مع بلجيكا فانها سعت أيضا لتسوية حدود الكونغو الفرنسي مع البرتغال فعقدت اتفاق في ١٧ مايو ١٨٨٥ لتحديد الحدود الشرقية للكونغو بين كابندا البرتغالية والكونغو تنازلت فيه البرتغال عن الضفة اليمنى عند Chiloango ^(٨١) .

(78) Documents Diplomatiques Français 1er serie tome VIII. M. Ribot Ministre des Affaires étrangères à M. Bourée Ministre de France à Bruxelles. Paris 12 Juillet 1890 DNO 21 p. 149.

(79) D. D. F. 1er serie tome VIII. M. Ribot à M. Bourée Ministre de France à Bruxelles paris 18 Juillet 1890 T p. 161.

(80) D. D. F. 1er serie tome VIII. M. Beernaert, président du conseil de Belgique à M. Bourée, Ministre de France à Bruxelles, Bruxelles 29, Juillet 1890 No. 128 p. 178.

(81) Hanotaux, op. cit. p. 424 .

كذلك عقدت فرنسا مع المانيا اتفاقا فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ لتحديد الحدود بين الكونغو الفرنسى والكاميرون الألمانى (٨٢) ورغم توقيع هذا الاتفاق الا أن الألمان عملوا على مد نفوذهم من الكاميرون صوب حدود الكونغو الفرنسى ونجح ناخيتجال الألمانى فى رفع العلم الألمانى على مدينة دوالا على الساحل قرب مصب نهر سنجا وهو من روافد الكونغو وأعلن بسط الحماية الألمانية على هذه الجهات فاندلع خلاف حاد بين الدولتين على أساس أن الفرنسيين عقدوا فى منطقة سنجا العديد من معاهدات الحماية مع الزعماء المحليين وظل الخلاف قائما بين الدولتين حتى بدأت فرنسا تتجه لمد نفوذها على مراكش فى شمال أفريقيا فوقفت المانيا فى وجه الأطماع الفرنسية وتمثل ذلك فى حادثة أغادير الشهيرة ١٩١١ ولكن توصلت الدولتان فى النهاية الى اتفاق وافقت فيه المانيا على اطلاق يد فرنسا فى مراكش فى مقابل تنازل فرنسا لألمانيا عن بعض الأراضى وبموجب اتفاق ١٩١١ - ١٩١٢ وسعت المانيا مستعمرتها فى الكمرون شرقا فوصلت الى نهر أوبانجى والساحل الشمالى للجابون وضمت بذلك حوض نهر سنجا وهو طريق مائى ورافد من روافد الكونغو الهامة وبذلك وضعت المانيا يدها على منطقة غنية فى افريقيا الاستوائية الفرنسية (٨٣) .

أما الاقليم الثالث الذى سعت فرنسا لدعم سيطرتها عليه فهو اقليم أوبانجى - تشارى (افريقيا الوسطى حاليا) * والواقع أن اهتمام دى برازا بكشف روافد الكونغو هو الذى أدى الى الكشف عن منطقة أوبانجى - تشارى فقد اهتم الفرنسيون بالكشف عن نهر سنجا ، وهو من روافد الكونغو اليمنى يصب بالقرب من الاوبانجى أمام منطقة اليمبا بدلتا كبيرة ، وقد أد اكتشاف دى برازا لهذا

(82) Ibid p. 427.

(٨٣) شوقى الجبل المرجع السابق ص ٤١١ .

الرافد الى اثاره فضوله للتقدم شمالا واكتشاف المنطقة ، فوصل الفرنسيون الى اقليم كبير مجهول بالنسبة اليهم يقع بين تشاد فى الشمال والأوبانجى فى الجنوب وشارى فى الشرق والكاميرون فى الغرب (٨٤) .

وقد أصبح اقليم أوبانجى — تشارى ضمن أقاليم افريقية الاستوائية منذ عام ١٨٩٤ وأقرب طريق له الى البحر عن طريق الكاميرون ، ويجرى فى الاقليم أعلى نهر شارى ، وروافده العديدة التى تتبع من خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو وتصب هذه الروافد فى نهر الأوبانجى (٨٥) .

وجدير بالذكر أن هذا الاقليم بحكم موقعه بين تشاد والسودان والكونغو والكاميرون كان ملتقى الهجرات ، كما أنه تبع الممالك الاسلامية التى ظهرت فى المنطقة فخضعت أجزاؤها الشمالية والشمالية الشرقية للممالك الاسلامية التى قامت فى منطقة تشاد وفى غرب السودان ، كما وصل اليه الدعاة السنوسيين قادمين من ليبيا (٨٦) .

اهتم دى برازا بارسال البعثات الكشفية الى منطقة أوبانجى وتشارى ، وفى عام ١٨٨٩ تم بناء ميناء بانجى على الضفة اليمنى لنهر الأوبانجى ، وعمل دى برازا على فتح الطريق بين الاقليم وتشاد ، وساعده على تحقيق هدفه أن لجنة افريقيا الفرنسية التى تكونت فى باريس ١٨٩٠ ، عملت على ارسال المكتشفين الى المنطقة وخصصت

(84) Hanotaux, op. cit p. 482.

(٨٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٤١١

(٨٦) د. اسماعيل ياغى تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) طبعة الرياض ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

ميزانية لهذا الغرض — وفى عام ١٨٩٠ توغل كرامبل من بانجى حتى دار الكوتى (٨٧) •

كذلك تجول القائد الفرنسى كلوزيل Clozel فى المنطقة حتى وصل الى حوض بحر سارا ، وقام فورنو Fourneau بالتجول فى المنطقة الواقعة من حوض نهر سنجا الى لييرفيل — أما كازمير Casimir فقد أرسل نى بعثة الى الأوبانجى فاتجه نحو الشمال الغربى ووقع معاهدة مع زعماء بحر سارا ثم وصل الى بنوى ويولا (٨٨) على أن كل تلك الجهود كللت بالنجاح عندما وقع دى برازا معاهدات حماية ١٨٩١ على المنطقة الواقعة شرق الأوبانجى وسنجا واعتبرت هذه المناطق تحت السيادة الفرنسية (٨٩) •

على أن أهم البعثات التى أرسلت الى المنطقة كانت بعثة ميزون الذى دعا الى ضرورة تدعيم الاتصال بالساحل الغربى الافريقى والكونغو الأوسط واكتشاف الأقاليم الداخلية (٩٠) وقد تجول ميزون بين بنوى وتشاد ووصل الى نهر سنجا فى ٢٩ يناير ١٨٩٢ وأعلن أنه يمكن ربط النيجر وبنوى وسنجا والكونغو الفرنسى وتحقيق الاتصال بينهم (٩١) •

والواقع أن تدعيم السيطرة الفرنسية على اقليم أوبانجى — تشارى لم يقابله مقاومة وطنية عنيفة أو مقاومة منظمّة على نحو

(87) Geographical handbook series French Handbook Equatorial Africa and Cameroons 1942 p. 235,

(88) Geographical Hanbook : op. cit p. 236.

(89) Hanotaux : op. cit p. 491.

(90) Catherine : op. cit p. 332.

(91) Hanotaux: op. cit p. 488 .

ماحدث فى تشاد مثلا ، ولكن هذا لايعنى من وقوع بعض المصادمات بين القوى الوطنية والفرنسيين ، وفى عام ١٨٩٠ قتل الوطنيون قائد مركز بانجى ويدعى موسى Musy ، وفى عام ١٨٩٢ قتل القائد الفرنسى دى بوميراك De Foumayrac عند منطقة ابيرا Abira وهى أحد روافد نهر موبومو (٩٢) •

والواقع أن سيطرة فرنسا على هذا الاقليم لم تتم عن طريق غزو عسكري كبير وحمولات عسكرية ، كما حدث فى تشاد أو فى معظم مناطق غرب افريقيا ، ولكن كان على فرنسا أن تخوض عدة معارك سياسية كبيرة مع الدول المنافسة لها فى المنطقة ، فعقدت عدة تسويات مع كل من المانيا وبلجيكا ليخلص لها الاقليم فى النهاية • فقد واجهت فرنسا خطورة تقدم الألمان فى المنطقة وخاصة من مستعمرتهم فى الكاميرون ووصلت البعثات الألمانية الى الأوبانجى وأسست المحطات والوكالات منذ عام ١٨٨٦ • وقد ساعد على نشاط هذه البعثات تأسيس لجنة افريقيا الألمانية فى برلين عام ١٨٨٥ والتي عملت على تشجيع كشف افريقيا • وقد رفع أعضاء اللجنة فى ١٩ يناير ١٨٨٦ مذكرة الى الحكومة الألمانية طالبوها بضرورة انشاء المراكز الألمانية على نهر الأوبانجى وتدعيم السيطرة الألمانية على المناطق المجاورة له وبسط السيادة الألمانية من الكاميرون حتى الأوبانجى • كذلك دعا الدكتور زنتجراف المكتشف الألمانى الى ضرورة تقدم المانيا من الكاميرون صوب المناطق الداخلية فى القارة وعدم الاكتفاء بالكاميرون فقط وانما ضم مزيد من الأراضى لألمانيا (٩٣) •

ولكن الحكومة الألمانية رفضت فى ذلك الوقت فكرة ارسال بعثات كشفية فى مناطق مجهولة لها تماما ، الا أن هذا الرفض لم

(92) Geographical Handbook : op. cit p. 236.

(93) Hanotaux : op. cit p. 483.

يمنع الحكام الألمان فى الكامبيون من ارسال البعثات ، ففى عام ١٨٨٧ وصل كل من الكابتن Kund والملازم تابنك Tappenbeck الى حوض الكونغو — وفى عام ١٨٨٩ تقدم مورجن Morgan نحو الشرق وفى الواقع أن هذه البعثات لم تحرز تقدما كبيرا فى المنطقة ولم يكن لها نتائج سياسة تذكر (٩٤) •

أرادت بريطانيا قطع الطريق على فرنسا ومنعها من الامتداد والتوسع من منطقة أوبانجى تشارى فعقدت فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٣ اتفاقا مع المانيا حدد الحد الغربى لمستعمرة الكامبيون سمح للألمان بالامتداد نحو تشاد (٩٥) •

وقد سبب ذلك حرجا لموقف فرنسا فقد حددت فرنسا حدود الكامبيون الجنوبي مع المانيا وفقا لمعاهدة ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ ، ولكن ظل الحد الشرقى مفتوحا وان كانت المادة الرابعة من الاتفاق قد تضمنت بأن النفوذ الألمانى سوف لا يمتد شرقا أبعد من حوض نهر شارى ودارفور وكردفان وبحر الغزال • ولذلك كان لابد أن تتوصل فرنسا لمعقد اتفاق ثان مع المانيا لتحديد الحدود الشرقية لمستعمرة الكامبيون ومنع الألمان من الامتداد والتوسع نحو الشرق وتهديد الأقاليم التى خضعت لفرنسا فتم توقيع اتفاق ١٥ مارس ١٨٩٤ الذى اعتبر نصرا كبيرا لفرنسا اذ أنه فى مقابل بعض الامتيازات البسيطة للألمان وافقوا على تحديد الحد الشرقى للكامبيون مما ترك لفرنسا حرية التوسع فى الشمال حتى بحيرة تشاد وفى الشرق • وقد أثار هذا الاتفاق غضب بريطانيا فحاولت الدس بين الألمان والفرنسيين ولكن دون جدوى فقد أرسلت الحكومة الفرنسية الكابتن مونتى الى

(94) Ibid p. 484.

(٩٥) على ابراهيم : أضواء على المنافسة الدولية فى أعالي النيل — القاهرة ص ١٩٥٩ ص ٢٠٢ •

برلين للتفاوض وسارت المحادثات فى جو ودى ، وفى ٤ فبراير تم التوصل الى الاتفاق الذى وقع فى ١٥ مارس ١٨٩٤^(٩٦) .

ولتدعيم السيطرة الفرنسية فى منطقة أوبانجى تشارى كان لابد من الوصول الى اتفاق مع بلجيكا أيضا نظرا لأطماعها فى المنطقة .

فقد أرسل دى برازا ليونار فى أبريل ١٨٩٠ وكان قد قام بكشوف فى الجابون ليوطد النفوذ الفرنسى فى أعلى الأوبانجى والمناطق المجاورة ولكى تكون هذه الأراضى مدخلا للفرنسيين الى النيل^(٩٧) . وفى ٥ فبراير ١٨٩١ كتب دى برازا الى ليونار بأنه لابد من العمل تجاه الشمال الشرقى والامتداد نحو أعلى النيل ولم يكن مع ليونار سوى قوة صغيرة من الجنود السنغاليين^(٩٨) . هذا فى الوقت الذى أبدى فيه الملك ليوبولد نشاطا كبيرا لمد نفوذه من الكونغو الى أعلى النيل . ولذلك أرسل قوة بلجيكية بقيادة فان كركهوفن وصلت فى أكتوبر ١٨٩٢ الى النيل عند ودلاى ، وصلت حملات البلجيكيين الى الشاطئ الأيمن لنهر أولى الذى يعتبر امتداد لنهر الأوبانجى^(٩٩) . ولذلك فتحت فرنسا باب المفاوضات مع بلجيكا لتحديد النفوذ بين نهري ولى والموبومو وهما الفرعان اللذان يتفرع اليهما الأوبانجى فى أعاليه وغى النهاية عقدت اتفاقية اعترف فيها بأن يكون الحد هو نهر شنكو وخط عرض ٧ شمالا ، وفى مقابل هذا الامتياز يبدو أن ليوبولد كان موافقا على أن يقسم مع الفرنسيين المنطقة الواقعة على الجانب الغربى من النيل الأعلى حيث تحصل دولة الكونغو الحرة على المنطقة الواقعة فى الشمال حتى لادو ويترك الباقى للفرنسيين ورغم

-
- (٩٦) على ابراهيم : المرجع السابق ص ١٠٢ .
 - (٩٧) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٩ .
 - (٩٨) على ابراهيم : المرجع السابق ص ٩٤ .
 - (٩٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٩ .

موافقة المسيو ريدو وزير انخارجية الفرنسى على التسوية الا أنه رفضها بضغط من الفريق الاستعمارى فى مجلس النواب (١٠٠) .

ثم توتر الموقف بين الطرفين عندما عقدت حكومة الكونغو الحرة فى ١٢ مايو ١٨٩٣ اتفاقا مع بريطانيا سمحت فيها الأخيرة لبلجيكا بتأجير منطقة كبيرة من بحر الغزال تقع بين خطى ٣٠° ، ٢٥ شرقا خطى عرضى ١٠° ، ٤ شمالا - كذلك أجرت للملك ليوبولد ولدى الحياة المنطقة الواقعة على الشاطئ الأيسر للنيل عند ماهاجى على الشاطئ الغربى لبحيرة البرت الى فانسودة وفى مقابل ذلك أجرت دولة الكونغو الحرة لبريطانيا شريطا من الأرض يمتد من بحيرة البرت حتى بحيرة تنجانيقا ، أى انه يمتضى هذا الاتفاق تنازلت بريطانيا لدولة الكونغو الحرة عن نصف حوض الأوبانجى وكل بحر الغزال (١٠١) .

اعتبرت فرنسا الاتفاق البلجيكي البريطانى مناقضا للاتفاقات الدولية كما انه يعرض مصالح الفرنسيين فى منطقة الأوبانجى العليا للخطر كما أن فيه اعتداء على حقوق مصر السياسية والسيادة على بحر الغزال والمديرية الاستوائية وهددت فرنسا باستخدام القوة وأرسلت حملة بقيادة الكولونيل مونتي لطرده البلجيكين من الأوبانجى العليا (١٠٢) .

وفى الوقت نفسه لجأت فرنسا الى استخدام أسلوب الاحتجاج ضد كل من بلجيكا وبريطانيا وخاصة بعد تأكدها من توقيع الاتفاق السابق بين الطرفين وأنه أصبح سارى المفعول (١٠٣) كذلك حاولت

(١٠٠) على ابراهيم : المرجع السابق ص ٩٥ .

(١٠١) شوقى الجبل المرجع السابق ص ٥١١ .

(١٠٢) المرجع السابق ص ٥١٢ .

(103) D. D. F. 1er serie tome XI. M. Casimir - perier a M. Boureé, Ministre de France à Bruxelles DN 25 Urgent Paris 26 Mai 1894 p. 169.

فرنسا التقرب من المانيا فأرسل الميسيو هربرت السفير الفرنسى فى برلين الى كازمير وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٧ مايو ١٨٩٤ يخبره بضرورة مقاومة الاتفاق البريطانى البلجيكى ، مذكرا اياه بأن فرنسا و المانيا قد نجحتا من قبل فى الغاء المعاهدة البريطانية البرتغالية التى عقدت عام ١٨٨٤ وان الدولتين فى الوقت الحالى بإمكانهما الضغط على بلجيكا وبريطانيا لمنع تنفيذ اتفاق ١٢ مايو ١٨٩٣ (١٠٤) .

كذلك لم تكتف فرنسا بانغراء المانيا بالتحالف معها وانما وجهت انتقادا الى دولة الكونغو الحرة فأرسلت مذكرة الى الكونت دى جريل روجيه De Grelle - Rogier وكيل وزارة الشؤون الخارجية لدولة الكونغو الحرة نددت فيها بالاتفاق المعقود بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة ، وأكدت ضرورة تمسك دولة الكونغو الحرة بالاتفاقيات السابقة المعقودة بينها وبين فرنسا كما أوضحت المذكرة الوضع الدولى للاقاليم الواقعة فى حوض وأعلى النيل ودعت دولة الكونغو الحرة الى عدم نسيان هذا الوضع (١٠٥) .

وقد حرصت فرنسا على ارسال الاحتجاجات على المعاهدة المعقودة بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة الى لندن والى بروكسل (١٠٦) وأكدت بأن المنطقة التى سيمتد اليها نفوذ بلجيكا انما

(104) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France à Bruxelles à M. Casimir perier Ministre des Affaires étrangères Berlin 27 Mai 1894 DNo. 42.

(105) D. D. F. tome XI. Note remise a M. De Grelle - Rogier 27 Mai 1894 Bruxelles p. 180.

(106) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France à Berlin à M. Casimir - Perier Ministre des Affaires étrangères Berlin 29 Mai 1894 T No. 78.

هى تعتبر أملاك تابعة للخدوى فى مصر والدولة العثمانية (١٠٧) .

ولكن رغم كل هذا النشاط الدبلوماسى المكثف لفرنسا وسلسلة الاحتجاجات التى أرسلتها عن طريق سفرائها الى معظم عواصم الدول المعنية بالمنطقة الا أن السفير الفرنسى فى بروكسل أكد لحكومته بأن الملك ليوبولد لن يستطيع المضى قدما فى هذا الاتفاق فهو يعتمد على ثروته الخاصة وسوف يجد نفسه فى النهاية عاجزا عن مواصلة جهوده فى افريقيا وعن مواصلة ارسال البعثات والمستكشفين ، وان المستقبل لفرنسا لأن ليوبولد سيصل الى مرحلة لن يستطيع تخطيها . ودعا السفير الفرنسى بلاده الى شن مزيد من الحملات فى الصحف ضد الملك ليوبولد شخصيا . وبالفعل شنت الصحف الفرنسية سلسلة من الحملات ضد ليوبولد وشبهته بالقيصرة (١٠٨) .

والواقع أن الضغط الفرنسى قد أثمر فقد أصدرت بريطانيا بالاتفاق مع ليوبولد تصريحاً فى يونيو ١٨٩٤ يتضمن إلغاء المادة الثالثة من الاتفاق البريطانى البلجيكى يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة الحرة شريط من الأرض لبريطانيا يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة البرت (١٠٩) ومن أسباب معارضة فرنسا لهذا الاتفاق أنها أيقنت أنه ضمن مخططات الاستعمارى الكبير سيسل رودس لتربط شمال القارة بجنوبها وأنه تمهيد لتحقيق هذا المشروع (١١٠) .

(107) Ibid M. Boureé Ministre de France à Bruxelles à M. Hanotaux ministre des affaires étrangères Bruxelles 31 Mai 1894 D. No. 12.

(108) Ibid M. Boureé, Ministre de France à Bruxelles à M. Casimir Ministre des Affaires étrangères Bruxelles 28 Mai 1894 DN. 11 très confidentiel.

(١٠٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(110) D. D. F. tome XI M. D'estournelles chargé des affaires étrangères à Londres à M. Ribot Ministre des Affaires étrangères Londres 14 Avril 1891 D. No. 115.

وأخيرا عقد اتفاق ١٤ أغسطس ١٨٩٤ بين فرنسا ودولة الكونغو الحرة اعترفت بلجيكا بالنفوذ الفرنسى بين فرعى الأوبانجى موبومو وولى — وأن يكون لفرنسا حقوقا سياسية فى موبومو (١١١) وتنازل ليوبلد عن فكرة احتلال منطقة بحر الغزال ليبقى الميدان مفتحا أمام الفرنسيين ومن ناحية أخرى تركت فرنسا لدولة الكونغو الحرة استئجار منطقة اللادو (١١٢) •

على أن فرنسا حاولت الاستفادة فيما بعد من تواجدتها فى المنطقة لمد نفوذها الى حوض النيل الا أن بريطانيا وقفت لها بالمرصاد وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة الشهيرة ١٨٩٨ التى استبعدت فيها فرنسا نهائيا من أعالي النيل ، كذلك فشلت فى ربط ممتلكاتها الواقعة فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرق القارة • رغم المساعدات القيمة التى حصلت عليها حملة مارشان من لاجارد حاكم الصومال الفرنسى ومن الملك منليك ملك الحبشة (١١٣) وهكذا سيطرت فرنسا على اقليم أوبانجى تشارى بواسطة سلسلة من المعاهدات ولكنها رغم ذلك لم تنجح فى مد نفوذها منه الى منطقة أعالي النيل •

أما تشاد فهو الاقليم الرابع الذى وضعت فرنسا يدها عليه لتستكمل تكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية ، كما أن تشاد كانت نهاية للتوسع الفرنسى وللحملات العسكرية القادمة من السنغال • وتميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربى ، يدل على ذلك اتجاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التى أخذت البلاد اسمها وتتناسل تشاد هذه البحيرة مع كل من النيجر ونيجيريا

(111) Hertslet, op. cit vol II. No. 157 Boundary Agreement between France and the Congo free state 14 August 1894 p. 569.

(١١٢) على ابراهيم عبده : المرجع السابق ص ١١٥ •

(١١٣) شوقى الجمل — المرجع السابق ص ٥١٣ •

والكاميرون ، ويجرى فى تشاد كل من نهر تشارى الذى ينبع من
أفريقيا الوسطى ، كذلك نهر لوجون الذى شكل خط الحدود بينها
وبين الكاميرون (١١٤) .

ذكرنا من قبل أن التوسع الفرنسى فى الكونغو الأوسط ،
وأوبانجى تشارى ، والجابون انضم الى حد ما بالهدوء النسبى اذا
ما قورن بحركات المقاومة الوطنية التى واجهتها فرنسا أثناء توسعها
فى غرب افريقيا وتكوين ما عرف بأفريقيا الغربية الفرنسية حيث
واجهت فرنسا مقاومة عنيفة وخاصة من قبل الممالك الاسلامية فى
هذه المناطق والتى أعلن معظمها الجهاد ضد الفرنسيين ، ولعل
تشاد كانت الوحيدة ضمن أقاليم افريقيا الاستوائية التى قدر لها
أن يظهر فيها حركة جهاد اسلامى شبيه بتلك التى ظهرت فى غرب افريقيا
فتميزت بذلك عن باقى أقاليم افريقيا الاستوائية وتزعم حركة الجهاد
ضد الفرنسيين فى تشاد رابح الزبير الذى كون دولة اسلامية فى
حوض نهر شارى ونجح فى نشر الاسلام بين الجماعات الوثنية
فى المنطقة .

وقد ارتبط رابح الزبير بالسنوسيين وخاصة السيد محمد السيد
السنوسى وأبدى الطرفان كراهية شديدة للفرنسيين . وقد بدأت
العلاقة بين رابح والفرنسيين تتخذ طابع التوتر بعد أن أقدم على
قتل المكتشف الفرنسى بول كرامبل وذلك فى عام ١٨٩١ (١١٥) ثم
عمل رابح على توسيع نفوذه جنوب بحيرة تشاد فغزا أراضى الباجرمى
وأحكم الحصار حول مدينة مانهاغا الواقعة جنوبا ونجح رابح فى
السيطرة على عدة مقاطعات من دارفور ثم اتجه نحو الباجرمى

(١١٤) د. اسماعيل ياغى : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(١١٥) سعد الدين الزبير : امبراطورية رابح الزبير — القاهرة ١٩٥٣
ص ٢٠ ، ٢١ .

واستطاع اخضاع سلطنة برنو لنفوذه وبذلك كون مملكة قوية واتخذ من دكوة جنوب بحيرة تشاد عاصمة له (١١٦) .

وخلال فترة توسع رابح الزبير كانت فرنسا على وشك اكمال توسعها فى غرب افريقيا وامتد نفوذها شرقا وكان من الطبيعى أن يحدث صدام بين القوات الفرنسية الزاحفة شرقا وبين رابح الزبير وخاصة وأنه سبق وأن اتهم باغتيال الرحالة الفرنسى بول كرامبل كذلك اعتقل المكتشف الفرنسى دى بهاجل . على أن رابح نجح فى ايقاع الهزيمة بالفرنسيين فى أكثر من مرة وقيل أن الفرنسيين لجأوا الى الزبير رحمت ليستعمل نفوذه لدى رابح لاييقاف الحرب بينه وبينها وليطلب منه الانسحاب من برنو ولكن الزبير باشا رفض ذلك (١١٧) .

وجهت فرنسا ثلاث حملات للتضاء على رابح الزبير وذلك فى عام ١٨٩٩ خرجت الأولى من السنغال والثانية من الجزائر والثالثة من الكونغو الفرنسى وكانت بقيادة اميل جنتى . وقد حققت الحملات الثلاث هدفها ونجحت فى هزيمة رابح وقتله ولكنها حققت هدفا آخر هاما للفرنسيين وهو امكانية ربط المستعمرات الفرنسية فى افريقيا فى كل من الجزائر فى الشمال والسنغال فى غرب افريقيا والكونغو فى افريقيا الاستوائية (١١٨) .

وجدير بالذكر أن المهدي فى السودان حاول التحالف مع رابح وذلك فى الفترة ما بين ١٨٨٢ — ١٨٨٥ فطلب منه الانضمام اليه ولكن رابح لم يستجب له ، على عكس موقف حكام نيجيريا فقد استجاب

(١١٦) د. اسماعيل ياغى : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(١١٧) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠١ .

(١١٨) اسماعيل ياغى : المرجع السابق .

البعض منهم للمهدى وقاموا بالرد على رسائله ومنهم هاييتو حفيد عثمان وأن فوديو الذى تزوج بابنة رابح وحافظ على علاقته الطيبة معه حتى وفاته (١١٩) .

استمر فضل الله بن رابح الزبير فى مقاومة الفرنسيين فى تشاد وعندما حاولوا التفاوض معه رفض وقطع رؤوس مبعوثيهم ولكن لم يتمكن من الاستمرار فى النضال طويلا فقد قتل فى فوجيه (١٢٠) .

وهكذا ظلت القوات الفرنسية فى المنطقة تقاتل خلفاء رابح وأتباعه حتى عام ١٩٠٢ حين استقرت الأمور للفرنسيين على حدود برنو (١٢١) كذلك اصطدم الفرنسيون بالسنوسيين فى شمال تشاد وكانوا على علاقة طيبة برابح الزبير كذلك كان لهم نفوذ على الطوارق فى اير وزندر مما أقلق السلطات الفرنسية ولذلك وجهت لهم الحملات خلال أعوام ١٩٠١ ، ١٩٠٢ حتى انسحبوا من المنطقة (١٢٢) .

وهكذا نلاحظ أن ماكاد القرن التاسع عشر يصل الى نهايته حتى كان الاحتلال الفرنسى لافريقيا الاستوائية قد أوشك على الاكتمال، وكان من الصعب على فرنسا أن تدعم سيطرتها على المنطقة بأكملها ولذلك ظهرت فكرة تجميع المستعمرات الفرنسية فى وحدة فيدرالية حتى تسهل عملية ادارتها والتحكم فيها فتكونت افريقيا الغربية الفرنسية وافريقيا الاستوائية كحدثين فيدراليتين وتكون الاتحاد

(119) Forde, Daryl : Islam in tropical Africa Lond 1969 pp. 423 — 425 .

(١٢٠) لوثرروب ستودارد حاضر العالم الاسلامى — القاهرة ١٩٧١ ص ٣ ص ٦٤ .

(١٢١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٢ .

(122) Hanotiaux, G : op. cit p. 541.

الفيدرالى من عدة وحدات تخضع كل منها لحاكم يخضع بدوره للحاكم العام فى الاتحاد ، ويمثل الأخير الجمهورية الفرنسية وهو المسئول أمام وزير المستعمرات (١٢٣) •

تكون اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية بمقتضى عدة مراسيم فبمقتضى مرسوم ٤ أغسطس ١٨٦٠ تركّزت ادارة الوكالات الفرنسية فى الجابون وساحل غينيا ، فى الجابون وتولى الادارة قواد البحرية الفرنسية • وفى ٢٤ يناير ١٨٨١ صدر مرسوم جعل ادارة ممتلكات فرنسا فى ساحل غينيا والجابون تحت قيادة قائد أعلى من البحرية الفرنسية حمل لقب القائد الأعلى للمنشآت الفرنسية فى خليج غينيا وعندما قام دى برازا برحلته الثالثة الى المنطقة حصل على لقب مفوض من الحكومة الفرنسية وفى ١٦ ديسمبر ١٨٨٣ قسمت المنشآت الفرنسية فى خليج غينيا الى قسمين الجابون ويتولى ادارته قائد يشرف على كوتونو وبورتونوفو (داهومى) والقسم الثانى من المنشآت الفرنسية فى جران بسام واسينى (ساحل العاج) وفى ٢٧ أبريل ١٨٨٦ صدر مرسوم أعطى لبرازا ادارة الجابون فعهد بدوره الى الملازم الفرنسى باليه Noel Ballay تولى ادارة المنطقة وفى ٢٩ يونيو ١٨٨٦ صدر مرسوم أعطى دى برازا لقب مفوض عام للحكومة وخوله ادارة المستعمرتين الجابون والكونغو ثم صدر مرسوم ١١ ديسمبر ١٨٨٨ وحد الجابون والكونغو ، فى ٣٠ أبريل ١٨٩١ أعطيت المنشآت الفرنسية فى المنطقة اسم الكونغو الفرنسى وكانت هذه الخطوة تمهيدا لانشاء اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية الذى صدر مرسوم تكوينه فى عام ١٩١٠ (١٢٤) •

(١٢٣) عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيا — القاهرة

١٩٥٩ ص ١٧٠ •

(124) Hanotaux, G : op. cit tome IV. p. 429 — 431 .

نلاحظ مما سبق أن فرنسا نجحت فى تحقيق هدفها فى افريقيا الاستوائية فدعمت سيطرتها على المنطقة ، ساعدها فى ذلك الظروف الدولية وخاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين ، كذلك الظروف الداخلية التى مرت بها المنطقة ، حيث أننا لا نلمس مقاومة عنيفة ضد الفرنسيين ابان فترة توسعهم فى أقاليم الجابون والكونغو وأوبانجى تشارى ، ولكن نتضح لنا هذه المقاومة فى تشاد تلك المقاومة التى قادها رابح الزير وابنه فضل الله وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن تشاد فيها أغلبية مسلمة تأثرت بحركات الجهاد التى ظهرت فى ممالك غرب افريقيا ابان فترة التوسع الفرنسى .

خاضت فرنسا عدة معارك سياسية مع الدول الأوروبية الطامعة فى المنطقة فعقدت سلسلة من المعاهدات مع كل من بلجيكا ، والمانيا ، والبرتغال الى أن تمكنت من تحديد حدود أقاليمها لتخلص لها افريقيا الاستوائية ، ونجحت فى وضع يدها على مساحة كبيرة من الأراضى الا أنها أخفقت فى تحقيق حلمها التوسعى فى ربط ممتلكاتها فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرقها على شكل حزام متصل من الأملاك الفرنسية ، أى أن يمتد النفوذ الفرنسى من السنغال فى غرب القارة حتى جيبوتى فى شرق القارة وذلك لأن بريطانيا كانت لها بلرصاد فلم تمكنها من أن تقطع ممتلكاتها فى القارة عرضيا . وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة حيث أجبرت فرنسا على التوقف بفتوحاتها حتى تشاد ، ولكن رغم ذلك نجحت فرنسا فى تحقيق سياستها التوسعية فى ربط ممتلكاتها فى شمال القارة بممتلكاتها فى افريقيا الاستوائية فامتدت الأملاك الفرنسية متصلة من البحر المتوسط حتى الكونغو .

وأخيرا اعتمدت فرنسا فى توسعها على أنصار التوسع وغلاة الاستعماريين أمثال دى برازا واميل جنتى وغيرهم ممن يؤمنون بضرورة تكوين امبراطورية فرنسية فيما وراء البحار .

أولا - المصادر :

(١) الوثائق :

١ — وثائق غير منشورة :

1 — Public Record Office

F O 403 / 4

٢ — وثائق منشورة :

1 — Documents Diplomatques Français ler serie tome VIII. XI.

2 — Hertslet. Edward . The Map of Africa by treaty. London.
1894 vol. II.

ثانيا - المراجع العربية :

١ — د. اسماعيل ياغى : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) طبعة الرياض ١٩٨٣ ج ٢ .

٢ — زاهر رياض : الاستعمار الأوروبى لافريقيا فى العصر الحديث القاهرة ١٩٦٠ .

٣ — شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها القاهرة ١٩٧١ .

٤ — صلاح العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى .

٥ — عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر أوروبا من الحرب البروسية الى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ — ١٩٤٥ — القاهرة ١٩٧٧ .

٦ — عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩ — ١٨٧١) القاهرة ١٩٨٥ .

٧ — عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيا — القاهرة ١٩٥٩ .

٨ — على إبراهيم : أضواء على المنافسة الدولية في أعالي النيل القاهرة
١٩٥٩ .

٩ — لوثرود ستودارد : حاضر العالم الاسلامى دار الفكر ١٩٧١ .

١٠ — محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى — الجماعة الفرنسية فيما
وراء البحار القاهرة ١٩٦٠ .

ثالثا - المراجع الأجنبية :

1 — Ajayi, J and Michael Crowder : History of West Africa Lond
1974 vol. II.

2 — Anene, Joseph : Africa in the Nineteenth and Twentieth
centuries ibadan 1966.

3 — Ansty, Roger : Britain and Congo in the Nineteenth century
Oxford 1962.

4 — Avice, Emmanuel . La cote D'ivoire paris 1951.

5 — Betts, R. : The Scramble for Africa U. S. A. 1966.

6 — Brunshwig, Henri : L'Avènement de L'Afrique Noire Paris
1971.

7 — Carrié, René, A : The Concert of Europe U. S. A. 1968.

8 — Casttelein. A : The Congo State. Lond 1907.

9 — Eucher, Lp : Le Congo. Paris 1894.

10 — Fage, J : An introduction to the history of west Africa. Cam-
bridge 1959.

11 — Forde, Daryll : Islam in tropical Africa Lond 1969.

12 — Geographical handbook series. French Equatorial Africa and
Cameroons. Lond 1942.

- 13 — Hanotaux, Gabriel : Histoire des colonies Françaises et de
L'expansion de la France dans le monde. Paris 1929 tome IV.
- 14 — Hanotaux, G : Mon Temps. La troisième République. Gambetta Jules Ferry. Paris tome II.
- 15 — M. A. C. : Histoire complète des voyages et découvertes en
Afrique Paris 1921.
- 16 — Robinson, Ronald and John Gallahar : Africa and the Victorians N .Y. 1961.
- 17 — Thompson, Virginia : French west Africa Lond 1958.
- 18 — Vidrovitch. Catherine : Brazza et la possession du Congo
(1883 — 1885). Paris 1965.
- 19 — Williams Bary : Modern Africa 1972.

ج — دوائر المعارف :

- 1 — Cambridge history of Africa 1790 — 1870 .
Great Britain 1976. Vol. 5.